ضربتْني أجنحةُ طائرِكَ

قصائد إلي أحمد مرسى



ادوار الخراط

اهداءات ٢٠٠٠

ا.د. فتح اللــــه خليـــف
أستاذ الفلسفة بآداب الإسكندرية

ضربتني أجنحة طائرك
قصائد إلى أحمد مرسي

اللوحات للفنان أحمد مرسي



ضربتني أجنحة طائرك

ضربتني أجنحة طائرك الضخم الضاري
شقّت أمواج الليالي المضطربة بخضرةٍ داكنة
أتشبث بالزّبد .
ما زال صوت البحر يأتيني من غور الزمن
رتيبا صاحيا لا يهن بلا خفوت .
صوت الصخر .
شواطئُ اسكندريّتنا تحاصرنا.

زرقة هذا البحر زرقة هذا الروح
كثيفة وعجينتها حارة.
على الكورنيش صَدَفة هائلة بيضاء ناصعة
يطسّها رشاش المياه الرعناء
من وراء حَجَر السور الأبيض المتآكل.
في هذه الصَدَفة - الحصنِ المنيعة
ترقد أيامنا الماضَية حَيةً تَرتعش
مثل حيوانها العنيد فاتحا عينيه.

أين توارت الحمامة الحمراء بضّةُ الصدر؟
في حضني إلي حين ؟ أم طارت بلا إياب؟
شباك الروح ما زالت مفرودة وظامئة
هَل هذا الظمأ خواء؟

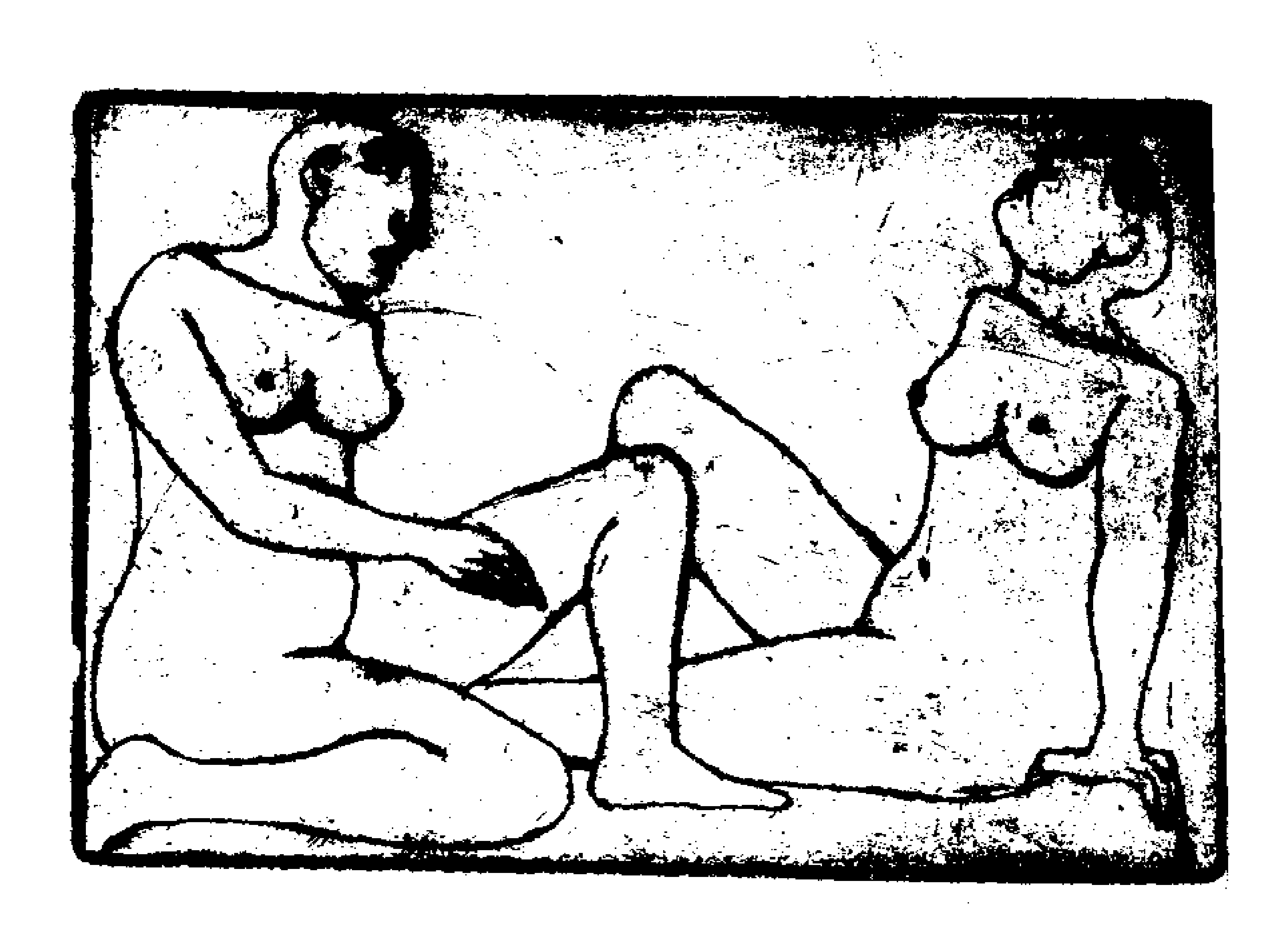
ما زالت الشباك ملآنة بالحصى المبلول
والقواقع اللاَمعة الخدَاعة
تحمل نذيراً بالانقضاء وبشارة.

صيّادُكَ أمسك بسمكته الهائلة
زعانفها الشائكة غير هامدة بين ذراعيه
عيناها متقدتان ماؤهما السماء
تحملان سراً غير مفضوض حتي الآن
سُؤْلاً يرود حياتنا
كشبح لا راحة له
ما زال دمه القاني طريا.

حصانُك الجامح اخترق سُدفَ الشعرية القديمة
بألوانه القاتمة الساطعة معا
خضراءَ وسوداءَ مشتعلةَ المعرفة
يصهل قبل الأوان ولن يلحقه الصمت
أحزانه هو أيضا - ما زالت ندية غضّة
بيضاءَ بعد خمسين عاما
هل ضاع صهيلُه في برارينا الموحشة؟

بعد أن خُضْنا غمرات الموج الملتطم
إهدارات الحب وتحقُّقّات المعاشق
مع الصقر والفرس والحوَت والقوقعة
وقبضنا علي جمرات تيجانٍ مكسورة تحترق
ما زالت جبال المياه الغاضبة تضربنا
ما زالت أقدامنا علي الحافة بين الموج ورمل الشط
حتي إن كانت الارض تسوخ بنا قليلاً قليلاً.

١٩٩٤/٧/٢٤



العشاق

العشاق قد كسروا حاجز الزمن
صروحاً غيرإنسانية
في وسيطٍ لا زمنيَ
سجا فيه الأزرقُ الكامد
تحت أفق لا وصول إليه أبدا
البرزخ الرمليّ خمرُ إلهيّة مسكوبة
و السماء بنفسجيّة صلبة الحواف صهباء.

الأيدي - فقط- تتلامس بألوانها الشَفَقية
اللمسة الحسية فيها تحقُّقٌ ميتافيزيقيٌ أزرق اللون
النهد النافر منتصب كأنه صخريَ
لكن ماء العشق الخفي إيروطيقيٌ
مترعٌ به الجسدُ الناعم بعمودَيْه السامقين ،
مترعةٌ به عينٌ فرعونية
ضاريةٌ بحنان لا يُطاق.

جسم العاشق نُصُبٌ مصبوب أربد
صخرةٌ بمجرد صلابتها تتحدي غوايات السماء
مَنْ ألقيَ علي العشاق رقية ورَصَدا؟
من أسكنهم وألهمهم العشق إلي الأبد؟
هل طحلبٌ غير مرئي رباطٌ مائيٌ لا فكاك منه؟

لكن الشرخ الانفصال لا يلتئم
مهما اتّقد وَهَجُ اللهفة.

الفُرْقة مضروبة مع تماسّ الأيدي الحميم
نزوعٌ نحو الانصهار في نشوة غير مسبوقة
مقضيٌّ عليه بألاّ يحدث
و مقضيٌّ عليه بألاّ يزول.

جسدُ العاشق أم جسد العِشْق
ذلك الذي على حافّة الزَّبد حافّة الأبد؟
عناقٌ للذات الأخري وردي مفاجئ

في غمار فيضٍ ساكن ثابت الموج
جسد العشق في انتظار لا يَنتهي
لأن العشق اكتمالٌ لا تَمام فيه
سذاجةُ الانتظار وعذوبتُه المرة واليقين فيه
كلها لا تُطاق.

السمكة بين العاشقيْـن وليمةُ حبٍ لاتنتهي
كنزاً قاتمَ الحنين يضرب إلي السوادْ
عينُ الكنز نهدُ العاشقة كلاهما متقدٌ بنار سوداء

العاشق يحمل الكنز كما يحمل عبئاً كما يحمل شوقا
كنز الحب تهديدٌ ونذيُر
كم هو ثقيلٌ الوطأة
كأنما حِمْله رغبةٌ محضة وقَدَرٌ مضروب في آن
لا فرار منه.

٢٥ / ٧ / ١٩٩٥



صفاء مستحيل

يشقُّ عليَ وَجَعُ الوحدة
هل أجدُ عزاءً في لوحتك ؟
أيدي العاشقيْن مرفوعةٌ بالطلب أم بالتسليم ؟
نهداها كرتان نصفهما مشتعل ونصفهما أبيض مثلوج
الرداء الأحمر منسدل علي بطنها
منسدل علي لهفتي
من غير عزاء .

سر أسرارها حِرْزٌ مكنون
مَنْ هذا الذي يَقف وراءها
أَيَدُها تكتم فمهَ ؟
العيون مفتوحةٌ لن تنطفئ
لأنها تعرف كل ما سوف يقال
تصدقه وتنكره في آن
مَنْ نحن في قبضة العشق ؟

هل نحن التجسد أم التلاشي ؟

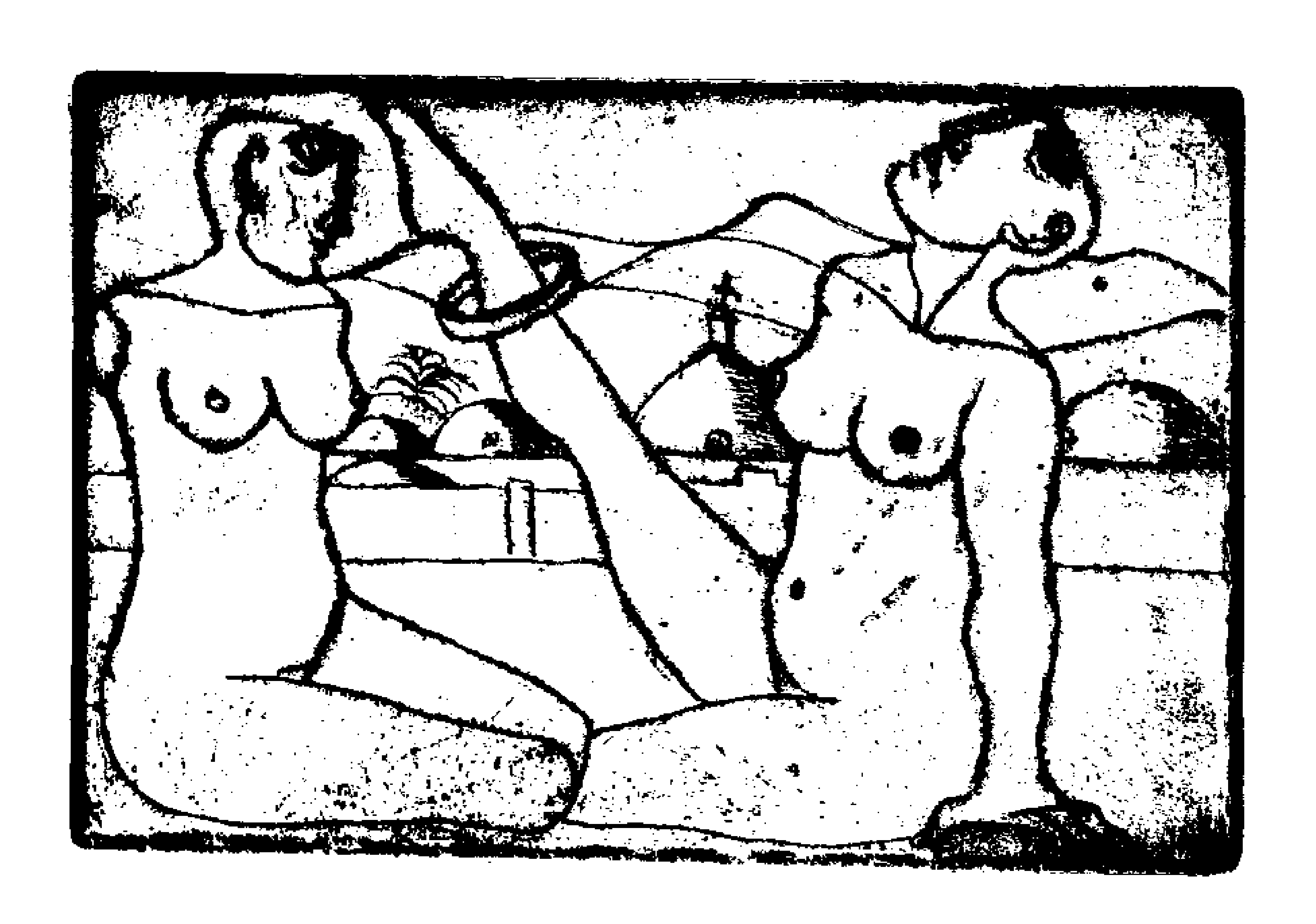
العالم عندك صريح ومنير
مشقوق بين ألوان متدرجة لكنها نقية
مقسوم قِسمةً موسيقية

هندسيٌ التشظّي واضطرابه محسوب
عالمي مصطخب مشوب الألوان
كم أريد صفاءَ ألوانك
أعرف أن الصفاء عندي مستحيل.
" عشاق المدينة الميتة " ليسوا موتَى
و إن كانوا يضربون في طرقات المقابر بلا انتهاء
ليسوا موتَى ، لن يموتوا أبدا
حتي لو مات العشق.
لأن العشق لا يموت ، ولو مات العشاق
" عشاق المدينة الميتة "

الأفق لوحةٌ مصمتة مصبوبةٌ من الرصاص
لكنه غير صامت بل قويّ الإفصاح
ما يقوله هو الصمت ، في صفاءٍ لا إنسانيّ
فعل العشق في شرنقة الصمت .
يَظلُ ثقيلا
لا يستحيل فراشةً حرة الأجنحة
العشاق أسرَى يمارسون خَرَساً مرصودا .

هل هذا حيوانيٌ بحت ،
أم فيه قبسٌ من الألوهة ؟

٢٥ - ٢٦ / ٧ / ١٩٩٥



شبكة المعاني

العازفُ البيزنطيُّ - أم هو قبطيٌّ عريق ؟
يُصعِّد ابتهالاته في سوادٍ سحيق
محبوبتُه تدير لَه ظهرها ، وتجري بخفةٍ رافعةً الرأس
علي الرغم من أن نهديها ثقيلان
أسمعُ الناي في الظلام
لا أعرف أهو أنينُ انكسار
أم تهليلٌ طوباويٌّ .

أعرف أن وجهَها ملتبسٌ متراكب القسمات
مثل وجه حبيبتي عَبْر الأزمان
أعرف أن الزَهْر في يدها سَسَبان
زهر العاشق المسكين
لا يطلب رحمة لأنه لن يجد رحمة
ليست الرحمة من أشياء العالم
علي رغم انثيال الأردية الفضفاضة التي تُوهِم بالحنان .

نصف نهد الحبيبة مسكوبٌ هدرا
النهد الآخر مأسور في دائرة حبٍ لا تنفكّ
ماذا يترقرق علي الأرض ؟
لبن الرقة الضائعة ؟
أم جِلدُ عظاةٍ أم هو نصف امرأة ؟

تحت وطأة كل قدم .
أم هو شَبَكة المعاني ذات الفكّ القاضم المفتوح ؟

شَبَكة التأويلات مشعّثة الخيوط
نصفها عريان نهشتْه غربانُ المعاني
ونصفها مدفون تحت أوهامٍ ثقيلة النسيج
نصفُها أبيضُ كثيف
ونصفها أسود رقراق
خفيفٌ وصلب ووثيق كخيوط العنكبوت
شَبَكة المعاني امتصت ذبابةَ الأشواق الطفيْليّة

حوريس الصقر الإلهيّ الأسود الفخور
يتحدّى كل معنى
عين الإله رع ذِروةُ جسد امرأةٍ عارية حمراء
جناحها مسدولَ وذراعها مرفوعة
فوق صهوة جوادٍ عارفٍ بالله
واقفٍ على حافةِ السماء
حوريس العمود المكين بين الأرض وحلمٍ لا يُنَال

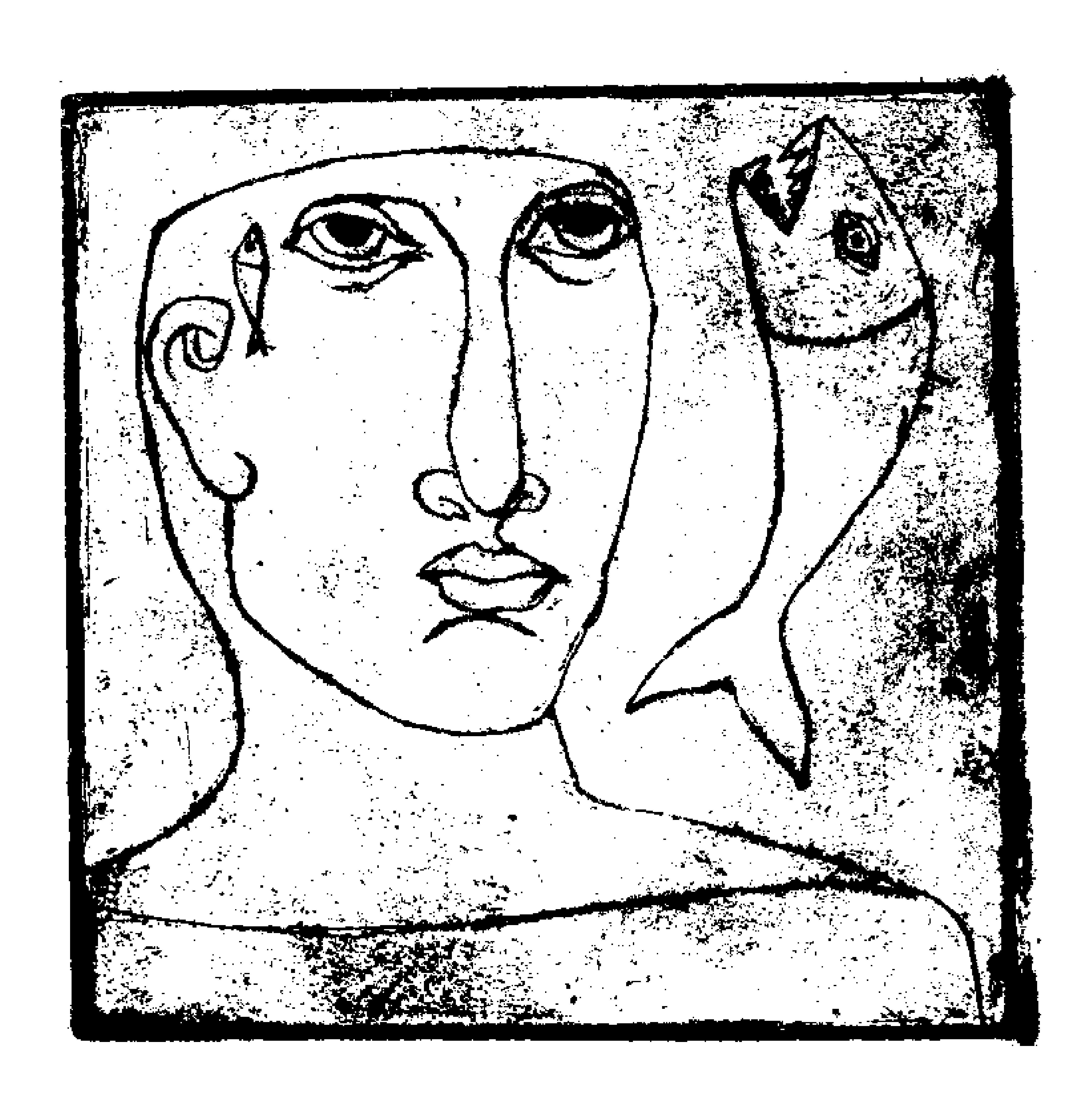
عينٌ واحدة نجلاء متكررة بلا انتهاء
رأس الجسد الأنثوي ذي الجناح

شعلةٌ صوفية في رأس جواد يطأ كل الأسرار
بلا اهتمام
عينُ العصفور المهيب الذي يحملُ وَحدَه كل المعاني
ترصد الثعبان الفولكلوريّ الأخضر
ملفوفاً علي عنق الحسناء المخاتِلة .

رأس الثعبان فاغر السمّ قد استراح علي صدر ها المنبسط
قناعها الشفاف قاتم اللون مزدوج وملتبس
يخايلني بابتسامةٍ مكتومة أعرف أنها مع ذلك مستحيلة
عيونها الأربعة صاحية أبد الدهر تثقب قلبي
مَنْ تلك التي تواجهني وتروغ مني
صلبةً وزئبقية ؟

الرؤيا خفيّة .

١٩٩٥ / ٧ / ٢٦



قطعةٌ من الروح

قطعةٌ من الروح جففتها الشمسُ في العراء
عن شهواتٍ قديمة منقضية
في صحراء الصبا التي لا وصول إليها .

النهد اللدن في فكّ ذئبِ الشِعْر الضاري

أسنانه المدببة تنهش جسدَالعالم الأنثويّ
لا تستبيحه لن تصل إلي الدم أبدا .

أبداً " تموت مع الطيور " وتحيا
ببغاؤك مطبق المنقار علي سر غير مفضوض
العدم يترصدنا . هل تطولنا أحلامُه القوية ؟

الطائر ـ الأنثى ذات العين الواحدة الحصيفة
ساقاها الجميلتان ـ بكل نعومتهما ـ مبتورتان كلهما غواية
نابعتان عن رأس مشوب باضطراب قدسيٍّ .

الطائر ـ الأنثى ينظر إلي ذاته الصغرَي
مقطوعةً الرأس مستندة إلي مقصلة الكلمات
ساقاها الجميلتان شفرة السكين الحادة القاتلة .

شفتاه اللحيمتان ، هذا الطائر ـ الأنثى ، مطبقتان
علي معرفةٍ إيروطيقيّةٍ لا تنقضي

رأس يوحناً المعمدان يحتضنه قدسُ الأقداس السفليّ .

هل اليدان لسالومي ، أم لكل َرامَات العالم ؟
تحتضنان الرأس المجزوز بعد عربدةٍ ديونيزيّة
وتُكنِّة في الحِرز الحريز يقِظاً بشهوةٍ لا تنقضي .

ذئبُ الشِعْر مفتوحُ الأشداق عن نهمٍ عريق

هل هو شعْر العالم الوحشيّ ؟
نَشَبَ أظفارَه وأنيابَه في الجسد الملتبس.

امرأتي ترفع سَمَكتها بعلامة الانتصار
" أكثيث " معبودة " إسنا " خصبة البطن شارة المحبة

هل خرج يونان - وخرجْتُ معه - من جُبّ الظلمات ؟

أتخبط في دياجي بطن حوتٍ ملء السماء والأرض
قطعةٌ من روحي جافة لا تغذوها إلا ذكري شمسٍ قديمة

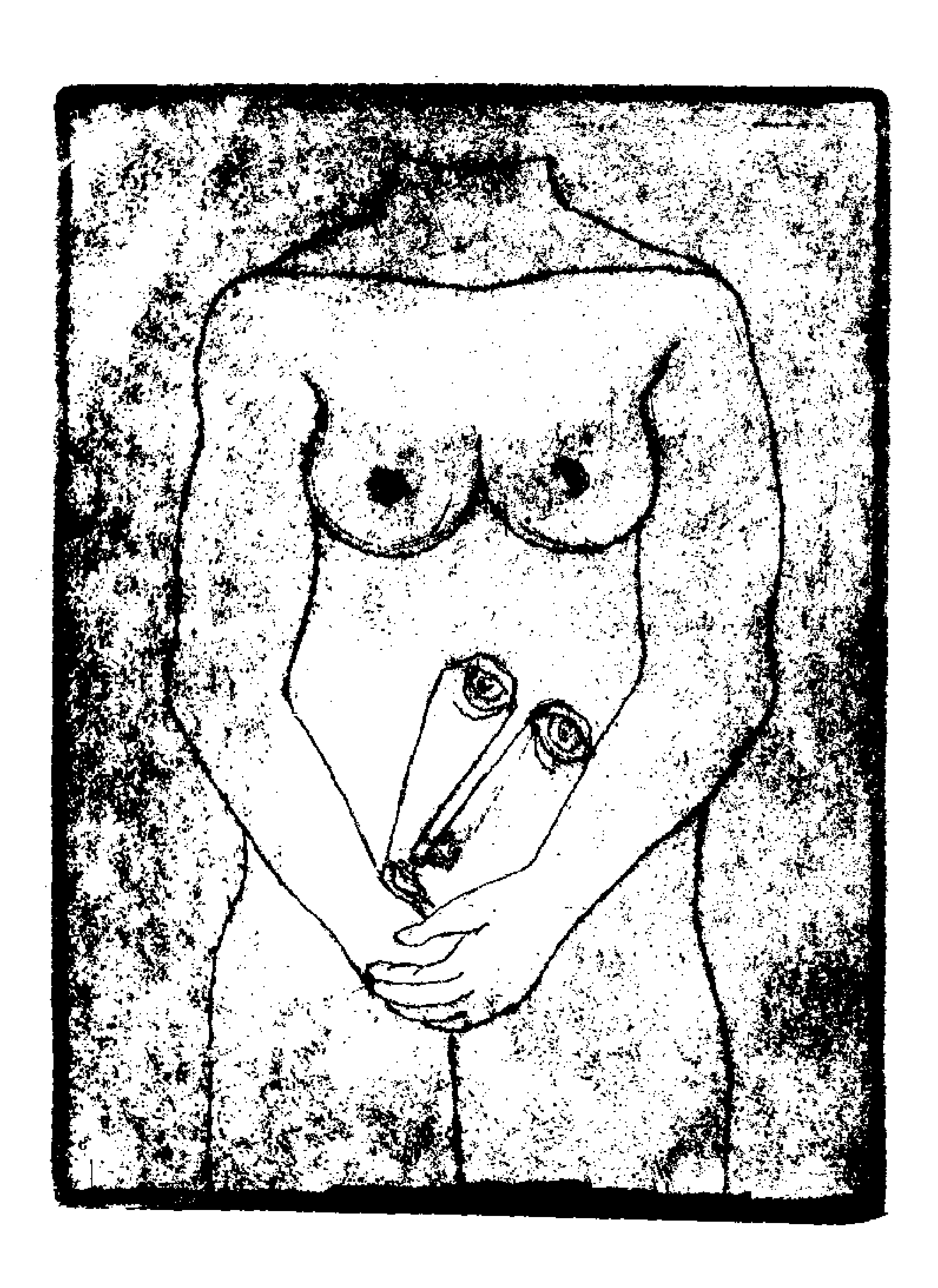
مضروباً عليّ بالإلغاء.

القفص الدائريّ خاوٍ قد بارحه طيرُ حبّي
الوحش الذي ضربني – من زمان – قد احتوي جسدَها الراكع
حبيبتي الذئبة الناهشة قد التحمت بالتنّين.

الطائر الوثير الآتى من غياهب الفردوس له وجه التنين

نهد الحبيبة مسكوبٌ وقطعةٌ من روحي بين الأسنان
ترتجّ الأرض تحتنا في صراعٍ غير محسوم .

ظهر ٢٩/ ٧/ ١٩٩٥



مُخايلَة النور

إذا كانت أيام حياتنا عكِرة ترسبُ فيها الشوائبُ وتطفو
فهل نحن نحلم - فقط - بطهرانيةٍ مستحيلة ؟
يفترسنا نورُ اللون المحرِق وسطوعُ بيَدٍ وراءها بيدُ
هل يخدعنا النور أم يخَايلنا - فقطَ - ثم يطعَنُ أرواحنا ؟
الأفق كتلة صمّاء سوداء مسدودة ساقطة علي الثَبَج .

أنتَ صارعتَ خضرة الغيطان الزهرية وزرقةَ بحر اسكندرية
و الحمرةَ الطوبية التي أحرقتها شمس الصعيد
تضرب المسوخ القميئة الشوهاء بأجنحةٍ ضارية .
تظل القامات الصامتة مغروزة الأقدام في الأرض
أما أنا فقد سحقتني الألوانُ ، يؤودني الشهيق.

تنهلّ عاطفةٌ غير مفهومة وغير مبررة وتسيل نفسي
علي شقوقِ وجوهٍ صلدة صخرية ، مبتورة وقوية الحياة
فوق ظهورٍ منصوبةٍ قضيفة مجتثة رؤوسها
تختزن فاكهةَ الحب محجوزةَ العصارة
هذه العيون التي ترقبني ، ترصدني ، نجلاء ، لا غَمْض لها .

عيونٌ تُخفي فاجعةً ما - كأنما تخجل منها - ولكنها تفيض
بحبٍ - كأنه كلمة أصبحت الآن بذيئة - ورحمةٍ
كلمةٍ بذيئة أخري في عالم الكومبيوتر والمجاهر وآلات التعذيب

تقطع أو ترتق نسيجاً هفهاف الثقل ، بلا مبالاة .
الميكروسكوب لن يفهم حمرة السَمَكة والزهْرة والتفاحة والدماء.

النور الملتبس يضرب الصيادين والقوارب الاسكندرانية
هل يُخبِط خروجَها إلى ما وراء حدود البحر ، وراء حدود الكون ؟

الأسماكُ الحمراء ضخمة الأثداء رحيمةُ العيون لكنها مفترِسة
لغز الأنثوية - بين اليديْن الخشنتين المرهفتين - غير مفضوض
خطوط المثلث والدائرة لا تُضمِر لي العداء .

كتلٌ صخرية أوليّة متدحرجة من أزمانٍ عريقة لم تندثر
أنفاسُ لهفةٍ صادية لا تريد أن تنطفئ
جواهرُ العناصر الداكنة باقيةٌ بقاء الجبال
شَفَق بدء العالم أو غَسَق نهايته.
لم تعد الأحلام النحيلة الشفافة كافية .

ماء الحنان والوحشة لا يمكن أن يغيض
حتي لو غارت به خسوفاتُ الأرض الوعرة
تطاردني رياح المساحات الخاوية البراح
و تحاصرني معك زحمةُ أحلامٍ كثيفة رازحة
متي ينجاب عن صدري ثقلُ الجَمَال ؟

امتلاء اللحم بين يديك رخصاً ولَدناً وغير هفهاف
قوام جسدانيّة الألوان الوضّاءة علي عجينة الروح
والألوان القاتمة المكتومة المقفلة علي حياةٍ عنيدة غائرة
متاهات التكوينات العضويّة الحيّة الموّارة
تعود إلي هياكلَ راسخةٍ من الأسى الهندسيّ المضمَر .

عجينةُ شاعريّتكَ كثيفة
وفُرْشاتك ثملت بخمر الألوان المخايلة
موالج الروح دفينة لا تفضي إلي أقباء المدافن البهيجة
عنفُ لمساتك عنفُ اقتحامك لجسدٍ طيّعٍ وعصيٍ معا
لماذا العنف مُحيي ؟

في الخفاء والسرّ تصبح القربَى أوثق
شفرات الحب ينبغي ألا تُفَضّ
نحن لا نعبر الجسور القديمة بل نضرب في غمرات الموج
عبر الأخاديد والمهاوي التي بلا قرار
هنالك تتماسّ الأيدي

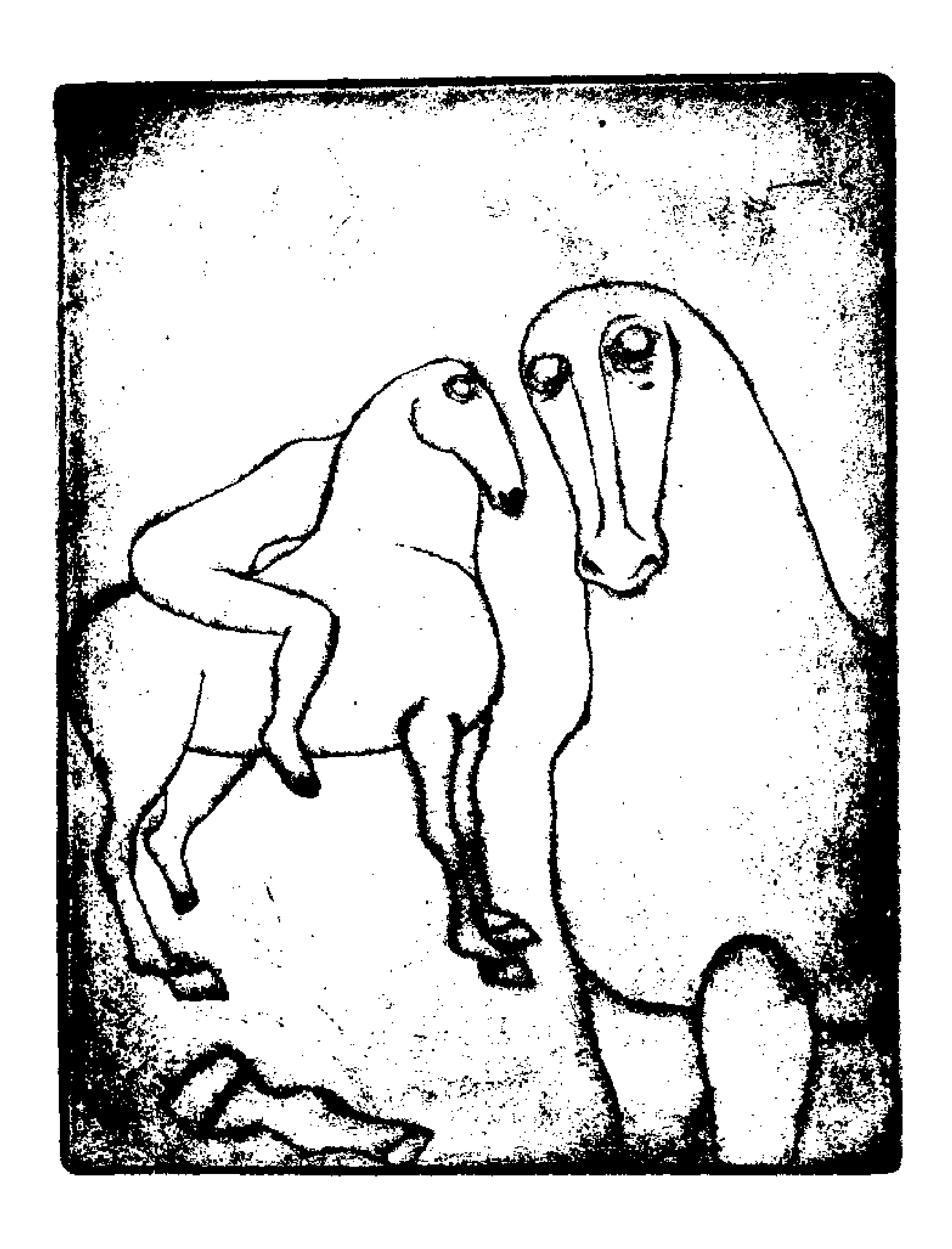
الأزرقُ القاتم والأخضر الفيروزيّ تتشرّج فيه شراييِنُ الحمرة
عندئذ تصحو العين ، وتتوفز أطراف الرُؤَى
مدارج البنفسجيّ الداكن تلقِي ظلالها على شواطئ َخالية

المرأة - الحدأة عظيمةُ الردفين راسخةٌ علي رمالٍ سوداء
ضراعة ذراعيّ المرفوعتين لا تُستجاب.

تحت جداريّات فسيحةٍ سامقة
زحمة الصدر وبُهرة الأنفاس في دراما كامنة
الأ فق التشكيليّ براحٌ ومحصورٌ في وقت معا
التوازن الحرِج علي حافة هاويةٍ منحدرةٍ إلى العمق
نغمات الألوان تنداح علَى اتساعاتٍ شاسعة.

صرختي- كالمعتاد - تضيع في صحراوات الصبا
من غير صدَي.

١٩٩٥ / ٨ / ٢٣



مِعْمار

معمارٌ أحاديُّ الأبعاد صروحٌ مكينةٌ ومسطَّحة
أهواءٌ رومانسية لا تندحر ولا تُدحَض
نعومتها وانسيابها كأنها مصالحَةٌ مع العالم
تتسق مع قوانين الدوران والصيرورة المستمرة
لكنها فيما وراء ذلك متمردة حوشيّة.

لأن العالم ليس انسجاماً كاملا
لأ ن الانقسام والتجزؤ ضرورةٌ حتمية
تُمليها ضربات القَدَر الرأسية المُصمية
وترتمي علي خطوط شواطئ مستقيمة
ليس العالم منداحاً ولا متهدلاً وإن كان مشعث الحوافّ .

دخلتُ أسوارَ المثلّث وحدست أسرارَه
وجدتُ أوصالي مبتورةً معه وجسمي متطاولاً مسحوبا
نا ء بي ثقلٌ فاحش مُضْمَر الشراسة
طعنةٌ حادة قاطعة تنتهي إلى مُلاَيَنَةٍ وديعة
ليس المثلّث أقل اكتمالاً من الدائرة اللانهائية.

قاماتٌ شاهقة رأسية الأركان عمودية
تماثيلُ حيّة متوترة علي وشك انفجارٍ مكتوم لا يحدث أبدا
رجلٌ وامرأة ماثلان في وسيطٍ لا زمنيّ ولا مكانيّ

تجاذبٌ لا يتمّ وتنافر غير عدائيّ
الجلالُ الميثولوجيّ لا صلة له بالآلهة.

الحضور الجامح الرازح معا للحصان إنسانّي العينين
يرودني ، من حدودٍ لا إنسانية ، كابوسٌ متكرر لا ينجاب
حصنٌ حصين وليس مجرد حيوان عارم الحياة
ملاذٌ وسورٌ ونجدةٌ ومأوَى جسيم ورصين
أما المرأة فهي مدعاةٌ للقلق والسؤال.

حوريس العريق هو طائرُك صقرُك الفخور
ضربتْني منذ البداية أجنحتُه شاسعة المَدَى
أجنحته تظلّل الكون ، رُخٌّ إلهيّ
يحمل في مخالبه عبر أجواز الشموس العُلَي
أشلاءَ إيزيس رامة عشتروت مناة العُزّى

البحر الساجي مصَمت مصبوبٌ من رصاص
أفقيّ ودائري ومتعرّج الشطوط ومبتور
في قلب هذه الصرامة حريةٌ معمارية
تضرب في اليمّ قاماتٌ بشريةٌ أوتطير
أسماكٌ حيوانية تخوض غمراته وتشقّ جهامته .

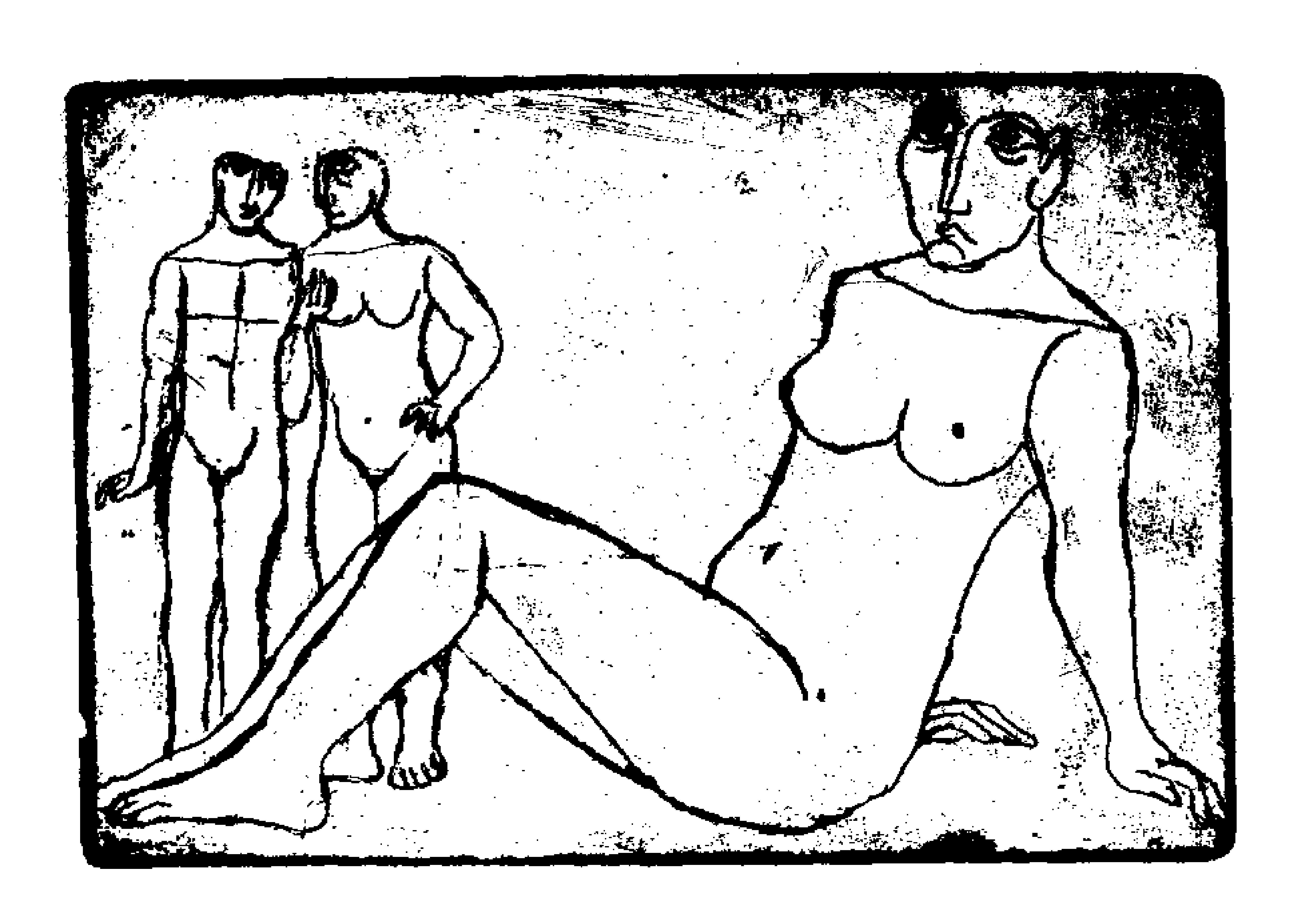
أنقاض التيجان وأشواك العَقْد حول رأس المسيح
وعجلات البسكليت الحمراء وأوشحةٌ زرقاء
ألوان الحلم الليليّ العميق ألوان الكابوس المُصَفَّاه
ألوان هواجس النفس الخفيّة
في الأزرق والرماديّ والأسود صدمةُ الحمرة القانية.

اللحم الأنثويّ مضرَّجٌ جسدانيٌّ في مقابل قتامة الرجال
أقنعةٌ فاغرة العيون عارمة الحيوية ومأساوية
هَوَىً شاسعةٌ نجلاء
حوارٌ بين الغامض الملتبس المغطّي خلف السر المكنون
وبين الساطع العاري الذي يبوح بالفضيحة .

غابة التكوينات الهندسية أحراشٌ تجوس فيها الثعابين
ويجثم القطّ القديم وترفرف عليها اليمامةُ المقدسة
ضربني طائرُك الذي يدوّم ويُسفّ ويسمو في العَنان
خارجا من شباك اليأس التي تَعلّقَ بها مخالبُه
إلي عَنان بهجةٍ ملتبسة .

إدوار الخراط

٢٣ / ٨ / ١٩٩٥



القصائد





دار حور ـ القاهرة

١٩٩٦

